نباتات الصناعة في مصر

قديماً وحديثاً

لمحمود مصطفى الدمياطي

٢ — القُنّب[1] واليامية القنّبية (النبل) والقطن

اتّضح من مقالي السابق أن المصريين القدماء زرعوا الكتّان واستعملوه في ثيابهم وأكفان موتاهم . فهل أثبت التاريخ زراعتهم واستعمالهم لنباتات ليفية أخرى ؟ والجواب عن ذلك أنهم لم يعرفوا القنّب منافس الكتّان في البلدان المعتدلة كنبات ليفيّ ولا كمخدّر بالرغم عمّا قيل في هذا الصدد

القنب كحشيشة الدينار تنالي المكن في الاصطلاح أي مذكر الزهرات في نبات ومؤنثها في نبات آخر . موطنه وسط آسيا وبالأخص الهند وإيران . تكثر زراعته في المناطق المعتدلة والاستوائية يزرع في الأول لأليافه فيبذر منه بذر كثير متقارب لتنمو النباتات متكاثفة مستقيمة السوق بلا أغصان . ويزرع في الثانية للحصول على ما فيه من الدواء وتستعمل الألياف التي يحصل عليها كما في الكتّان من القلف الداخليّ للساق — بعد النقع والتجفيف وزعها من السوق وتمشيطها — في فتل الحبال ونسج الزنابير ومن شباكها . أما البذور الزيتية[2] فيعتصر منها زيت القنب أو تستعمل غذاء لطيور الاقفاص أو يصنع من كسبها أقراص تعلف بها الماشية . وأجود أنواع القنب من حيث أليافه تزرع في جنوب أوربا

---

(١) ويسمى له لاتين بين هو فورس الذي جرى في كلام العرب خطأ صحيح اسمه القنّاب Cannabis sativa L. والانكليزية Hemp والفرنسية Chanvre وعند عرب السودان الحشيش والكيف وتطلق عليه في مصر البرنج والفرنسية الشيح ومن أسمائه في كتب تحرير الأدوية الحشيشة في الهند وورق الجان وحشيشة الفقراء والسفوف وحية الكسالى والرغد وحرش الشيوة والمؤنس عند الهنود .

(٢) ويسمى له الشهداج أو الشهدانج معرب شهد دانه بالفارسية

وخاصة إيطاليا وفي شرق الولايات المتحدة وفي بلدان أخر . أما الانواع التي تزرع من حيث ما فيها من الدواء فتوجد في بعض بلاد آسيا وبالاخص الهند فينضج منها وأتينج مخدّر يستعمل دواءً ومنشطاً . ولهُ ثلاثة أشكال معروفة في اللغة الهندية السنسكريتية هي الجانجها والجرس والبهانج : — الاول هو الراتينج ممزوجاً بأطراف الزهرات الانثيَّة إبَّان نضجها. والثاني هو الراتينج نقيًّا بعد نضوجه وانتزاعه من الاغصان والاقلف وغيرها ويحصل عليه من الاقاليم الاكثر برودة . والثالث ويكثر الحصول عليه من القنب البرّي هو الاوراق الناضجة وما رسب عليها من راتينج

والآسيويون شديدو الولع باستعمال ما في القنب من الدواء مخدراً بتدخينه منفرداً أو مع التبغ [1] أو بسحق أوراق النبات المجففة مع الماء فيتكوَّن شراب مسكر يسمونه الحشيش

والراتينج لهُ تأثير مخدّر تصحبهُ اللذة اذا أخذ بمقدار قليل أما اذا زاد عن ذلك حدث منهُ هذيان يعقبه صرع . وجاء في كتاب طبيّ هندي أن القنب مفرح منقٍ للون البشرة مسكر مخدّر ملطف للفكر والخيال معطش مشه للطعام وانهُ مكدّر لصفاء المخ مقلل لنور البصر وسعوط ورقه منقٍّ للدماغ

ولا بدَّ لبيع الجانجها والجرس في الهند من ترخيص يتبع نظاماً شديداً . أما البهانج الذي يجتنى من القنب البري فتعذر مراقبته . لكن في مصر والسودان قد حظرت الحكومة زراعة القنب والاتجار بالحشيش منذ سنين عدَّة وذلك محافظة على صحة الجمهور

هذا وقد قيل ان القنب اذا زرع في حافات الحقول وقى نباتاتها من فتك الحشرات

أما الباميَّة القنبية (التيل) [2] والقطن وكلاهما من الفصيلة الخبازية ويزرع بمصر في وقتنا الحاضر ، وقد أثبت التاريخ وجودهما عند المصريين القدماء ولكن لم يتحقق استعمالهم لالياف النبات الاول وهو عشب سنوي طويل يغشاه وبر وله زهر اصفر بهيج بنيّ الوسط ينبت في آسيا الاستوائية وافريقية واستراليا ويزرع في مصر حول حقول القطن وقصب السكر ومن

---

(١) وقد ذكر القنب ضمن النباتات الواردة في كتاب رحلة سبيك وغرانت لارتياد منابع النيل قال الاخير ما خلاصته ان هذا النبات ينمو في جنوب خط الاستواء على كل تل من الزوت وتجتنى أوراقه للتدخين في آخر ابريل ويبلغ ارتفاعه حتى قدم ونصف والزنوج الذين يشتغلون به يجمعون ويعرضون بلاهة وبله يخرجون الدخان من انوفهم وافواههم

(٢) اسم القنبي Hibiscus cannabinus L. والانجليزية Hibiscus cannabinus L. similar fibre plant والفرنسية chanvre ...

أليافه تفتل الحبال وقد يعتصر من بذوره نوع من الزيت

واما القطن فقد سمّى بلينيوس شجيرته الجوسيبيون[1] أو الزيلون[2] ووصفهُ وصفاً نستنتج منهُ انهُ من فصيلة البامية القنبية نفسها وان ما كان ينبت منهُ في مصر العليا يحتمل أن يكون القطن الشجري[3] وقد أشار ثرجيل في شعره المعروف بالجورجيات[4] الى هذا النوع من القطن المستوطن في افريقية بين دائرتي الانقلاب. ولهذا فلا يستغرب وجوده في مصر العليا. ولكن هل استطاع المصريون القدماء نسج ألياف هذا النبات؟ الجواب عن ذلك ما قاله بلينيوس من ان الكهنة المصريين كانوا يرتدون ثياباً قطنية. ومال بروكش الى اعتقاد أن المحرّم المصري القديم كان مصنوعاً من قماش مادته القطن. واخيراً عثر دوزيلبي على اصيص اصله من طيبة وما زال محفوظاً بمتحف فلورنسا يمتاز على بذور ولما فحصها بالاوري وجدها تنتمي الى القطن الشجري

ومما تقدم يتضح لنا من دون شك ان المصريين القدماء عرفوا القطن الشجري ومن المحتمل زراعتهم له. وقد أكد پولوكس الذي نشأ في نقراطيس[5] بمصر القديمة ان المصريين في عهده كانوا ينسجون الأقمشة من الياف ثمار هذا النبات[6] ولكن يظن في الغالب انهم لم يفعلوا ذلك إلاّ في زمن متأخر. وال هذا يرجع عدم العثور على أقمشة قطنية في مقابر القراعنة

***

الاعلام في هذا المقال

بلينيوس (Pliny)

كاتب روماني يعرف بالاكبر لتمييزه عن ابن أخيه ولد سنة ٢٣ ب. م وبعد خدمة لهُ في جرمانيا عيّن نائباً عن القيصر في اسبانيا سنة ٦٧ فقائداً للاسطول وفي سنة ٧٩ هلك

---

(١) (Pliny (the Elder

(٢) [illegible] وبالانكليزية [illegible] وبالعربية [illegible]

(٣) [illegible] الجورجيات في اللغة اليونانية معناها الفلاحة وقد تكون من ورود فيها ذكر شجرة اريد بها القطن ويرجح حوالى سنة ٣٠ ق. م وفي بعض مخطوطات

(٤) [illegible] الآن بعد البحث وقد عثرت تجاوره اليونانية في مصر بين ولم يعثر الفرنسي الفرنسي (٥٧٠ — ٥٣٠ ق. م)

(٦) يؤيد هذا ما وجد في حفائر الجيش الامريكي في [illegible] لامير المصرية القديمة من مرقى الاقمشة القطنية أو الصوفية أو الحريرية

في تورات بركان فيزوف . وقد كان لا يعرف الملل في طلب العلم والاستقصاء ويتناول مؤلفه في التاريخ الطبيعي أيضاً البحث في النقش والتصوير وغيرهما . قيل إنه قرأ ألفي مصنف لتنسيق هذا المؤلف المكوّن من ٣٧ مجلداً

فرجيل (Vergil or Virgil)

شاعر روماني شهير ولد سنة ٧٠ ق . م ومات بإيطاليا سنة ١٩ ق . م وبعد أن تثقف في روما وغيرها عكف على البلاغة والفلسفة والشعر وقد قضى آخر سني حياته في الريف ومن ضمن مصنفاته « الجورجيات » كتبها بين سنتي ٣٧ — ٣٠ ق . م

هيرخ كرل بروكش (Brugsch, Heinrich Karl)

عالم ألماني شهير في الماديات المصرية ولد ببرلين في ١٨ فبراير ١٨٢٧ ومات بها في ١٠ سبتمبر ١٨٩٤ ومن مؤلفاته « معجم في اللغتين الهيروغليفية والديموطيقية » (١٨٦٧ — ١٨٨٢) و « مذكرات عن رحلات في مصر » (١٨٥٥) و « الآثار المصرية » (١٨٥٧) و « مجموعة الآثار المصرية » (١٨٦٢ — ١٨٦٦) و « تاريخ مصر في عهد الفراعنة » (١٨٧٧) و « المعجم الجغرافي لمصر القديمة » (١٨٧٩ — ١٨٨٠) وغيرها

إبوليتو روسيلني (Rosellini, Ippolito)

عالم ايطالي بتاريخ الشرق وبالماديات ولد في بيزا بإيطاليا سنة ١٨٠٠ ومات بها في ٤ يونيه ١٨٤٣ وعاون شامبوليون في مصر وصار استاذاً للغات الشرقية في بيزا من ١٨٢٤—١٨٣٩ ثم عين استاذاً للماديات . وقد ألف كتاباً عنوانه « آثار مصر وبلاد النوبة » (١٨٣٢ — ١٨٤٠)

فيلبي بارلاتوري (Parlatore, Philippe)

ايطالي عالم بالطبيعيات وطبيب شهير ولد بپالرمو عاصمة صقلية في ١٨١٦ ومات بفلورنسا في ١٨٧٧ . تخرج في الطب سنة ١٨٤٠ وعكف على علم النبات وأهم مؤلفاته فيه « النباتات الايطالية » ١٨٥٠—١٨٦٠ وأتم هذا المؤلف كاروبل

يوليوس بولوكس (Pollux, Julius)

يوناني عالم في البلاغة وفي قواعد اللغة ولد في نقراطيس بمصر القديمة وعاش أثيناً في القرن الثاني الميلادي وأثره الوحيد الباقي هو معجم يوناني في عشرة مجلدات يُعدّ مرجعاً نادراً ونفيساً لكثير من الموضوعات الخاصة بالآثار القديمة